رأي المراقب

د. عبدالله بن عبدالمحسن السلطان

في اسرائيل لا يريدون السلام (٤ ـ ٦)

■ يعتقد الشخص العادي ان المجتمع الاسرائيلي مجتمع متلاحم وموحد وفئاته متجانسة وينتمي افراده لهوية يهودية واحدة. وربما اوحى بذلك له انتصارات اسرائيلي في الحروب مع العرب وربما اوحى ذلك له تشددها في سياساتها في التعامل مع العرب.. الخ.

الا ان الحقيقة ان المجتمع الاسرائيلي ليس كذلك، فهو يتكون من جماعات واعراق مختلفة، قدموا لاسرائيل من مجتمعات مختلفة، وبثقافات وايديولوجيات وهويات مختلفة. يجمع افراد المجتمع الاسرائيلي، بالاضافة الى الانتماء الرسمي لاسرائيل، أمن اسرائيل الذي يرونه امنهم جميعا.. اي ان الخوف هو الذي يوحدهم الى حد كبير.

فهناك اليهود الاوروبيون، واليهود العرب، واليهود الامريكيون، واليهود الروس، وهؤلاء يمثلون الجماعات الاكبر في المجتمع الاسرائيلي. وقد يكون اقرب للواقع عتبار هؤلاء الاقوام، مع اقوام اخرون صغر من حيث العدد اسرائيليين من حيث الهوية الاسرائيلية التي يتفق الجميع عليها كثر من اي اعتبار آخر مثل الاعتبار العرقي (من ام يهودية مثلا) او مثل الاعتبار الديني (ن دينه الديانة اليهودية او تهود بالتحول لليهودية من ديانة اخرى.

ولأن الانتماء لليهودية في اسرائيل بشكل عام هو إما بسبب العنصر اليهودي او بسبب الدين اليهودي فمن غير المتفق عليه حتى الان اطلاق مصطلح ما يجمع العنصر والدين في هوية يهودية واحدة متعارف عليها. يعزز هذا الافتراض نتيجة استطلاع الرأي العام الاسرائيلي، تم اجراؤه ايام الاحتفالات الاسرائيلية بمضي (٥٠) عاما على ايجاد دولة اسرائيل، التي تضمنت ان ٢٤٪ من الاسرائيليين يرون أنهم يهود فقط، بينما يرى ٣٥٪ منهم انهم اسرائيليون فقط، و٣٠٪ منهم يرون انهم يهود واسرائيليون في آن واحد.

هذا التفاوت بالانتماء يعكس الى حد كبير ازمة الهوية التي يواجهها الاسرائيليون، الذين هم في الاصل ليسوا مثل بعض لاعتبارات سبق ذكرها، ففي اسرائيل شعوب ومجتمعات وطوائف متناقضة، يتحدث افرادها ويكتبون بلغات مختلفة الى جانب العبرية، حسب الدول التي هاجروا منها الى اسرائيل. ولهؤلاء الافراد والجماعات تطلعات مختلفة لانهم يمثلون حضارات وثقافات وخلفيات تاريخية مختلفة.

لذلك يمكن القول ان اليهود في اسرائيل او في العالم لا يمثلون مجموعة متجانسة لا بالانتماء لثقافة وحضارة واحدة ولا باستقلالهم بتاريخ خالص لليهود. ويمكن رؤية عدم تجانس الاسرائيليين في تكوين عضوية الكنيست (البرلمان الاسرائيلي). فالكنيست تعكس الفروق والاختلافات العرقية والحضارية بين الاسرائيليين. فلا زال اليهود الامريكيون والاروبيون والمغربيون والاثيوبيون يحتفظون بانتماءات وثقافات مجتمعاتهم الاصلية التي قدموا منها والتي تمثل خلفياتهم وتُبنى عليها الفروق السياسية والاقتصادية بينهم.

هذا الوضع في المجتمع الاسرائيلي يتناقض مع الادعاء الصهيوني بوجود شعب يهودي واحد «مختار؟». انهم في اسرائيل يعانون من الانقسامات بسبب هذه الخلفيات الثقافية والعرقية المختلفة. وهم لذلك منقسمون على بعض دينيا وعرقيا وثقافيا. انهم فئات متصارعة ومتشاجرة. يتبع ذلك كون كل فئة وحزب وطائفة تعمل من خلال اللعبة السياسية الديمقراطية لصالحها على حساب الاخرين حتى لو نتج عن ذلك ظلم وتمييز ضد الاخرين. وتبقى اسرائيل في هذه الحال ملجأ لكل هذه التناقضات المختلفة. وقد تتهالك دولة اسرائيل في هذا المجال اذا ما تم سلام بينها وبين العرب اذ قد ينتهي عامل الخوف والحرب الذي وحد الاسرائيليين ومن ثم يتجه الاسرائيليون لبعض في صراعات ونزاعات ممتدة تطول مع بقاء الاختلافات في خلفياتهم. لذلك فالسلام غير مرغوب بشكل عام في اسرائيل.

فقد اثبت حتى الان الاسرائيليون انهم في حالة الخطر قادرون على ترك صراعاتهم الداخلية جانبا ومواجهة العرب ومحاربتهم. وعمل قادة اسرائيل على احياء هذا الخطر واستمراره.

والسلام للاسرائيليين يعني من بين ما يعنيه اشتداد الصراعات واحتدادها بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين، وبين العلمانيين والمتدينين، وبين الروس والإسرائيليين، وبين اليهود والعرب الاسرائيليين.. الخ.

انقسامات اجتماعية واقتصادية وعرقية وثقافية أوجدت احزابا وطوائف متعددة داخل نسيج المجتمع الاسرائيلي اثبتت الحروب بالتجربة انها هي لا السلام الموحّد للمجتمع الاسرائيلي المتنافر بطبيعته. لذلك لا يريدون السلام في اسرائيل.

من القرآن الكريم:

«لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» (الحشر آية ١٤).

مصطلحات سياسية

• النوايا المبيتة •

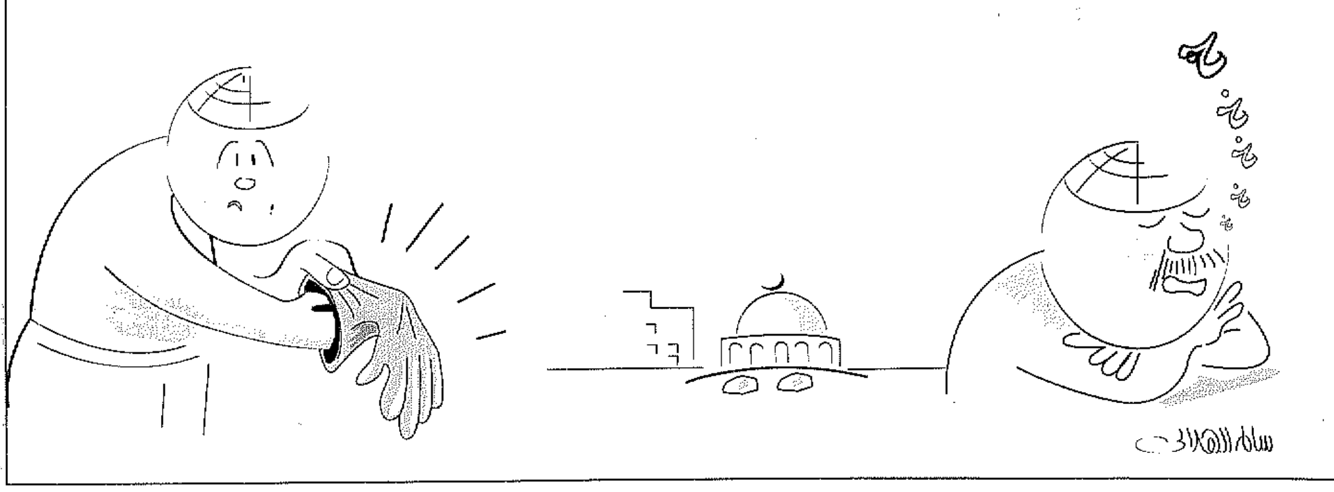

ندوة «عكاظ» في بيروت «جولة سمو ولي العهد.. الأهداف والابعاد»

التحرك السعودي يرسم افقا جديدا لتجاوز الركود العربي

أدار الندوة: زياد عيتاني، هشام عليوان (بيروت)

■ تشكل جولة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني رسالة دعم كبيرة للموقف العربي إزاء التهديدات التي يواجهها على صعيد أزمة الشرق الأوسط بخاصة أن الزيارة من حيث توقيتها ومحطاتها تحمل الكثير من الإشارات السياسية والتي على المجتمع الدولي تحليلها في سبيل رؤية جديدة للأزمة العالقة في الشرق الأوسط ... الجولة ترسم أفقا عربيا جديدا وسط هذا الركون الكبير ليس على مستوى صناع القرار بل على مستوى الشارع العربي أيضا.

ولتحليل ابعاد واهداف جولة سمو ولي العهد عقدت هذه الندوة بمكتب «عكاظ» في بيروت وفيما يلي وقائع هذه الندوة:

■ جانب من الندوة

خطوة يجب أن تحتذى

● «عكاظ»: المواقف والتحركات الدبلوماسية السعودية الأخيرة لا سيما من جانب سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز بخصوص جولته وموقفه من زيارة واشنطن ودعم الانتفاضة الفلسطينية تشكل بمجموعها معلماً بارزاً ومهماً في هذه الظروف الشائكة كيف تقيمون تلك المواقف وتلك التحركات؟

○○ أبو شعيرة: رفض الأمير عبد الله بن عبد العزيز زيارة واشنطن في ظل المعطيات غير المشجعة في المنطقة هو موقف رمزي مهم، وستكون له أصداء في واشنطن، وما يمكن أن يفعله العرب في هذه المرحلة هو خطوات من هذا النوع تحمل رموزاً معبرة في سياق العلاقات الدبلوماسية. كما أنه من أضعف الإيمان أن يصل الدعم المادي المقرر للفلسطينيين في قمتي القاهرة وعمان، إضافة إلى الدعم الإعلامي وأن يشكل العرب درعاً سياسياً دبلوماسياً للانتفاضة وأن يتخذ العرب مواقف موحدة تعبر عن التضامن والحس المشترك إزاء الاستخدام المفرط للقوة من جانب إسرائيل وإزاء تقرير ميتشل.

حلقة في سلسلة

○○ توفيق شومان: موقف الأمير عبد الله هو موقف سياسي وليس رمزياً وحسب، وبالإمكان سرد سلسلة طويلة من المواقف السعودية الحاسمة في إطار الصراع العربي الإسرائيلي، ابتداءً من قمة شرم الشيخ عام ١٩٩٦ والتي رفضت فيها المملكة تصنيف المقاومة تحت خانة الإرهاب. ولقاءات التنسيق الثلاثي السعودي المصري السوري بعد مجيء نتنياهو إلى الحكم والتي أسفرت عن عقد قمة لمّ الشمل بالقاهرة، وكانت الأولى منذ عام ١٩٩٠، ومقاطعة المملكة لمؤتمر الدوحة الاقتصادي عام ١٩٩٧.

● كيف تنظرون إلى تضمين سمو ولي العهد لسوريا ضمن محطات جولته في هذا التوقيت بالذات؟

○○ شومان: زيارة الأمير عبد الله لدمشق تبشر بتواصل التنسيق بين المملكة ومصر وسوريا خلال السنوات الماضية والمملكة تتبنى بشكل واضح الموقف السوري وهي تعيد التأكيد على هذا الوضع حيث لم تعارض المملكة الثوابت السورية في مفاوضات السلام في أي مناسبة، وأقول في هذا السياق، إنه بات ملحاً استمرار التنسيق السعودي المصري السوري، حيث المطلوب عربياً كذلك إيجاد رؤية واحدة شاملة لعملية التسوية في حين أنه في الواقع هناك الآن أكثر من رؤية خاصة لهذه التسوية. وكذلك هناك حاجة لموقف عربي واحد تجاه كثير من القضايا الأخرى التي لها علاقة بالصراع مع إسرائيل مثل طلب الحماية الدولية للفلسطينيين وعدم التعويل على الموقف الأمريكي والبحث عن مواقف دولية أخرى، ومحاولة الرهان عليها مثل الاتحاد الأوروبي أو الصين أو روسيا، لأن الاستئثار الأمريكي بالمنطقة لا ينتج سوى مواقف متحازة لإسرائيل المقاطعة لإسرائيل.

هذا ما اقصده

○○ د. غسان العزي: أريد أن أوضح ما قصدته من عبارة موقف رمزي غير ما فهمه الأخ توفيق شومان، فنحن نعلم الطلاب في كلية العلوم السياسية أن رجال السياسة يتعاطون إرسال الرموز والإشارات وفك رموز وإشارات وفهمها والرد عليها. هذا هو عملهم الأساسي، فرفع علم في مكان أو خفضه ليس عملاً رمزياً بل قد يؤدي إلى نشوب حرب. إن العالم السياسي الأمريكي الكبير كارل دوتش كان يبني تحليله السياسي على الدلالات والإشارات.

الصراع في حالة مران

● «عكاظ»: التنسيق السعودي المصري هل يشكل ضمانة ضد أي محاولة عدوان من جانب إسرائيل ضد سوريا؟

○○ أبو شعيرة: الأمور هي دائماً في حالة حراك، وما يجري في المنطقة هو استمرار الصراع العربي الإسرائيلي ولحالة الحرب، حيث لم يقم السلام بعد، كذلك الحراك في المجال السياسي هو دليل حياة فيما السكون دليل ضعف وموت، وعندما يطلق الشعار فلا بد من مواءمته بتحريك الوقائع. بكلمة أخرى هناك إدارة جديدة وصلت إلى واشنطن وقالت منذ لحظة وصولها إنها تعيد النظر ببرنامج التسوية المعروض في الشرق الأوسط، وهذا أمر طبيعي بعد عشر سنوات من مؤتمر مدريد وما تعرض إليه من نجاحات وتعثرات وصولاً إلى حافة الانهيار الكامل للعملية التسووية، فماذا يفعل العرب، هل ينتظرون ما ستقوله الإدارة الأمريكية بخصوص عملية التسوية؟ أم إنه من الضروري أن تقوم الدبلوماسيات العربية بإعادة المراجعة هذه لآليات عملية التسوية؟

سوريا طرحت برنامجاً واضحاً لإعادة النظر بعملية التسوية وعرضت على الرئيس عرفات تلازم المسارات السورية والفلسطينية واللبنانية، أي التفاوض رزمة واحدة، بمعنى العودة إلى مدريد ومنطلقات عملية التسوية. ومن الطبيعي أن يطرح البرنامج الآن ومن جانب العرب في ظل انتفاضة كشفت عن مأزق المجتمع الإسرائيلي، المنكشف أصلاً بهزيمته في لبنان. إن الإسرائيليين عندما دخلوا عملية التسوية في مدريد فهموا منها كما قال جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي السابق، أنهم منتصرون في الحرب والتسوية ستثبت هذا الانتصار، لكن العرب رفضوا الاستسلام ويرفضون الهزيمة حتى الآن وتلك هي مشكلة عملية التسوية الحالية.

إن المقاومة في لبنان انتصرت أولاً بوحدة الموقف الوطني وبدعم الموقف العربي. ذلك أن العرب رفضوا أن يساوموا على لبنان وبالتالي اسندت المقاومة مما أفسح لها بالانتصار ولم تنقلب تضحياتها إلى شكل من أشكال العبث، فما هي مهددة الآن أفعال الانتفاضة.

الاسرائيليون غير جاهزين

● «عكاظ»: المنطقة على شفير حرب، فما هي قراءتكم للموقف العربي وسط التهديدات الإسرائيلية؟

○○ أبو شعيرة: الموقف العربي الرسمي يستبعد برأيي وقوع الحرب وإن كان لافتاً ما صرح به وزير الخارجية الأردني ورئيس الحكومة الأردنية، كذلك ما أدلى به الرئيس المصري حول هذا الوضع وما سماه نقطة اللاعودة، وهذه العبارة تستخدم عادة عند الحديث عن اللاسلام بالمقابل فإن المواقف الصادرة عن لبنان وحزب الله وسوريا تستبعد أن تقوم إسرائيل بحرب، والمنطقان مختلفان بطبيعة الحال. وهناك تجاذب في المنطقة حول هذا الأمر، وحسب علمي فإن الإسرائيليين يعتقدون أن الحرب في الجبهة الشمالية لن تكون سهلة هذه المرة، ولا أظن أنهم يقدرون على التعرف بدقة على نيات الرئيس السوري بشار الأسد. يجري الحديث عن أن الرئيس الأسد متحمس ومعجب بتجربة المقاومة في لبنان، لكن الإسرائيليين بتقديري سيحسبونها جيداً قبل توجيه ضربة كبيرة، ومن ناحية أخرى هم ينتظرون أن تقوم المقاومة بتوجيه ضربة ويستنفرون قواتهم على الحدود مع لبنان لأنهم يتوقعون أن يفتح حزب الله جبهة الجنوب لإسناد الانتفاضة الفلسطينية من جهة، وللرد على ضرب الرادار السوري في ضهر البيدر من جهة ثانية، وهذه الجبهة كما حلل الخبراء الإسرائيليون خطابي أمين عام حزب الله حسن نصر الله لا تقتصر على مزارع شبعا، بل هناك طرح جديد يعني أن المواجهة مع إسرائيل ستكون أوسع بكثير.

ورغم ذلك، فقد يدفع المأزق الداخلي الذي تعيشه حكومة شارون في فلسطين المحتلة، في إطار مشروع تصفية الانتفاضة إلى تصدير الأزمة إلى الخارج خاصة وان على رأس الحكومة الإسرائيلية رجل أرعن.

وفي السياق، لفت نظري تقرير عسكري إسرائيلي يقول إن إسرائيل قد تكون فقدت إلى الأبد تفوقها النوعي على العرب ويربط ذلك بانتصار المقاومة في جنوبي لبنان، وما يجري اليوم في فلسطين المحتلة حيث يتحدث الإسرائيليون عن تضعضع هيبة الجيش الإسرائيلي، وانهيار فكرة الردع وهي فكرة مهمة لأي جيش لكي يخوض الحرب، وإذا كانت هذه الفكرة مهزوزة لديه، فالجيش الإسرائيلي سيفكر كثيراً قبل أن يشعل نزاعاً جديداً في المنطقة، لا ننسى كذلك، أن الحرب الجديدة لن تكون قصيرة والإسرائيليون مهيئون عادة لحروب خاطفة يبادرون هم إلى شنها في أرض الغير. برأيي لو كان الإسرائيليون قبل ٣ سنوات يضمنون شن حرب خاطفة ضد سوريا دون أن يتضرر الداخل الإسرائيلي من الصواريخ السورية لما ترددوا في خوضها.

سباق بين الحرب والتسوية

○○ شومان: لدي ملاحظتان أساسيتان، الأولى أن المنطقة تعيش مناخ حافة الهاوية والتصريحات الصادرة عن الأطراف تؤكد هذا المناخ وهذا يعني أيضاً وجود سباق بين الحرب والتسوية. برأيي أن إسرائيل لا تستطيع أن تخوض حرباً بقرار ذاتي. فالقرار الإسرائيلي كان دائماً قراراً دولياً استراتيجياً، فحرب ١٩٥٦ كانت على أساس مشروع فرنسي بريطاني تقاطعت مع اللحظة الإسرائيلية والأمر ذاته على حرب يونيو ١٩٦٧ التي كان هدفها تحجيم الرئيس المصري جمال عبد الناصر من الجانب الأمريكي، مع لحظة استعداد إسرائيل للانقضاض، حالياً هناك مشروع تسوية في المنطقة وهذا المشروع هو الاستراتيجية الأمريكية، ولا أعتقد أن الأمريكيين هم بصدد إعلان موت التسوية وذلك لدفع إسرائيل نحو الحرب، فضلاً عن أن هذه الحرب هي من دون أفق.

على الجانب العربي دأب الزعماء السياسيون على القول إن السلام هو الخيار الاستراتيجي، لكن مع استبعاد حالة الحرب التي يجب أن تكون وليدة قرار دولي. لكن قد تنفلت الأمور، خصوصاً أن بعض التحركات العسكرية الأخيرة لشارون مثل اقتحام بيت حانون وقصف الرادار السوري، لم تكن بعلم مسبق من واشنطن أو من المجلس الوزاري الأمني المصغر في إسرائيل، هذا انتقلت الإسرائيلي يضاف إليه عملية للمقاومة في جنوب لبنان قد يوسع نطاق المواجهة في ما يشبه نصف حرب شرط أن تكون ضربة المقاومة موجعة.

وبالنسبة للموقف الرسمي العربي أرى أن هناك تصاعداً إيجابياً منذ القمة الاستثنائية في القاهرة في أكتوبر الماضي ولغاية القرارات التي اتخذتها لجنة المتابعة العربية مؤخراً بقطع الاتصالات السياسية مع إسرائيل، وهذا كله يعبر عن موجة غضب عربي أولاً تجاه الولايات المتحدة التي لم تحرك ساكناً وثانياً هو موقف لا يمكن تصنيفه إلا في خانة التضامن مع الفلسطينيين ولو كان هذا التضامن بقي حتى الآن تضامناً رمزياً ومستاخذ الولايات المتحدة باعتبارها حتماً التصاعد في المواقف العربية.

اعتقد ان موجة الغضب العربي قد يتبعها في حال استمرار الأوضاع على ما هي عليه خطوات أخرى، لأننا نلاحظ كلما تفاقم الوضع في فلسطين المحتلة، كلما ردمت الهوة تلقائياً بين موقف الشارع العربي والنظام العربي.

المطلوب عربيا

● «عكاظ»: ما المطلوب عربياً مع اختلال موازين القوى بين العرب وإسرائيل وهدوء الشارع العربي إزاء ما يجري؟

○○ أبو شعيرة: هناك الموقف المميز لولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز برفضه زيارة واشنطن والموقفان السوري واللبناني.

هناك أيضاً مواقف عربية مختلفة وقراءات مختلفة كذلك تبعاً لكيفية النظر إلى الانتفاضة هل هي عبء أم عنصر قوة. فالمبادرة المصرية الأردنية تسمح بجعل تقرير ميتشل إطاراً للحل بغض النظر عن وظيفتها الأساسية التي تجاوزتها وهي تحديد المتسبب بأعمال العنف في فلسطين المحتلة من ٢٨ سبتمبر الماضي، فلم يتحدث التقرير عن المسؤول، وتبنت اللجنة موقف شارون بخصوص وقف العنف المتبادل وفترة التهدئة، وتحدثت عن تجميد الاستيطان الذي جرى إفراغه من مضمونه خلال الأسبوعين الأخيرين، وهنا أذهب إلى القول إن التوازن الاستراتيجي بيننا وبين إسرائيل ليس مختلاً حقيقة، بل المشكلة في الذين يرونه مختلاً لصالح إسرائيل.

هل تحتاج واشنطن لموقف عربي؟

○○ العزي: أوافق الأستاذ أبو شعيرة على ما تناوله من عجز إسرائيل أمام حروب الاستنزاف، فهذا الكلام ليس حماسياً بل هو كلام علمي، فالمنظر العسكري المعروف كارل فون كلاوزفيتس قال قبل قرنين: يربح من يستطيع تحمل الخسائر أكثر ولا يعتبر المهزوم مهزوماً إلا إذا اعترف بهزيمته، ففي عام ١٩٦٧ حققت إسرائيل نصراً عسكرياً كبيراً، وقعد قادتها ينتظرون اتصالات من العرب لتوقيع سلام مع إسرائيل، ولكن ذلك لم يحصل بل انطلقت اللاءات الشهيرة من قمة الخرطوم بعد النكسة وبدأت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية، وعليه فإن رفض العرب الاعتراف بهزيمتهم العسكرية يضيع على إسرائيل الثمن السياسي لانتصارها وأي انتصار عسكري من دون ثمن سياسي ما هو إلا هزيمة مقنعة، ومثال آخر هو اجتياح ١٩٨٢ للبنان فرغم الانتصار العسكري الإسرائيلي لم يحصل شارون على الثمن السياسي وبانسحاب الجيش الإسرائيلي دون قيد أو شرط العام الماضي انتهت مفاعيل الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ وعاد الجليل مهدداً أكثر من ذي قبل!

ربما كان الأمريكيون يحتاجون إلى موقف عربي معين يمنعهم من الذهاب بعيداً في تحيزهم إلى إسرائيل.

✻ العزي: العرب مطالبون بالاحتذاء بموقف الأمير عبدالله

✻ أبو شعيرة: موقف ولي العهد النموذج المطلوب حاليا للفعل العربي

✻ شومان: جولة الأمير عبدالله تنسجم مع المواقف السعودية الحازمة

■ العزي

■ أبو شعيرة

■ شومان

المشاركون في الندوة

د. غسان العزي: المحاضر في الجامعة اللبنانية كلية الحقوق والعلوم السياسية

أ. توفيق شومان: المحلل الإستراتيجي متخصص في الشؤون العربية

أ. شوقي أبو شعيرة الباحث السياسي